الرجل وتربية الطفل

للآنسة مينرفا عبيد

لا تحدقن طويلا أيها القارئ الكريم فى هذا الموضوع ، ولا تتهمن عمال المطبعة ظلما بالخطأ فى نقل كلماته . فلقد اعتدت حقا أن ترى موضوعا شبيها "وهو المرأة وتربية الطفل" حتى ظننت أن هاتين الكلمتين متلازمتان وأن استبدال احداهما بكلمة أخرى تعد على القوانين الطبيعية وتغيير للنظم الاجتماعية .

ولكنى أعتقد أن الوقت قد أزف لمحو خطأ شائع بين الكثيرين فى تفكيرهم ومن ثم فى خطتهم فى الحياة ، وضحايا هذا الخطأ هم أطفال أبرياء يحرمون من استكمال أسباب التربية التى تؤهل الفرد ليكون شخصيته كاملة قوية . فلقد نادى المصلحون مشكورين بتربية الفتاة واعدادها لتكون أهلا للقيام بمهمتها الكبرى فى المستقبل وهى تربية النشء تربية صحيحة ، وتحقيق هذه الدعوة هو أول عماد يقوم عليه بناء الأسرة المصرية ومن ثم الأمة بأسرها ، وليس لنا إلا أن نطرى تلك الدعوة ونضيف اليها أننا لا نزال محتاجين الى تفهم " التربية " بكامل معانيها ، من مادية تتعلق بتربية الجسم وروحيته ، تتعلق بالعقل والخلق .

غير أننا إزاء هذه الحاجة الملحة ، حاجة تربية الفتاة واعدادها لمستقبلها كأم ، غاب عنا تماما الالتفات الى الطرف الآخر فى الموضوع ، ألا وهو تربية الفتى و إعداده ليكون أهلا لأن يشغل مقامه كأب .

وهل الأبوة تحتاج الى إعداد غير تعلم عمل أو تقلد وظيفة تكفل للأسرة المال اللازم للعيشة ؟

نعم ، فالرجل فى بيته ليس آلة لجلب النقود وكفى ، بل هو أب بكل ما فى كلمة الأبوة من معان سامية ، أب فى الحنو على أطفاله — ولكن إلى حد ما ، وأب فى القسوة عليهم — ولكن إلى حد ما أيضا . وليعرف الأب كيف ومتى يحنو ، وكيف ومتى يقسو ، يجب عليه أن يتفهم نفسية الطفل تفهما صحيحا قائما على دراسة مستوعبة للتجارب العلمية النفسية التى صارت من مميزات عصرنا الحاضر .

وليس معنى ما تقـدم أن تخلى المرأة عن تبعتها الأولى فى تربية الطفل ، بل أن يفهم الرجل أيضا واجبه فى هذه الناحية ، حتى يكون عونا لزوجه فى القيام بهذه المهمة النبيلة ، أو على الأقل لكيلا يصير عاملا سلبيا فى التربية فيفسد سياسة الأم وخطتها .

وفى هذا المقام أذكر ملاحظة هامة لحضرة الدكتور بهمان ، طبيب الأمراض العقلية ، فى محاضرة له ، وهى إحدى محاضرات السلسلة الثقافية النسوية التى نظمها قسم الخدمة العامة بالجامعة الأميركية للسيدات — وليته دعا اليها الرجال أيضا — ذكر الدكتور بهمان فى كلامه عن "حياة الأسرة الاجتماعية وعلاقتها بالاضطرابات العصبية" إن من أكبر العوامل المسببة للاضطرابات العصبيـة عدم الاستقرار والثبات فى البيت ، ثم قال إنه إذا اختلف الزوجان فى الرأى ، كأن يعارض الأب الأم فى كيفية معاملتهما للطفل ، فيعاقبه الأب مثلا بعد أن تعفو عنه الأم تواً أو بالعكس ، نشأت فى الطفل صفات التردد وعدم الاستقرار التى تؤثر على جهازه العصبى فتجعله معرضا للأمراض النفسية فى مستقبله .

فلا شك إذا أن معرفة الأب لعلم نفس الطفل لازمة له لزومهـا للأم ، حتى يتفاهم الاثنان على كيفية معاملتهما للطفل ، ويتفقا على اتباع الأساليب القويمة فى تربيته وإعداده إعدادا كاملا جسميا ونفسيا للمستقبل .

ولذا صار من أهم العلوم التى يجب أن تكون ضمن منهاج الدراسة الثانوية للبنين والبنات علم النفس العام وكذلك علم نفس الأطفال .

ولكن هل يراد بهذا الاقتراح إرهاق الطلبة بعلمين لا موضع أو لا ضرورة لهما ؟ كلا فهما علمان أساسيان للحياة — حياة كل فرد الشخصية والاجتماعية . فكيف يسأل الطالب الثانوى الذى قد يصير محاميا أو ميكانيكا أن يعرف شيئا ولو يسيرا عن علم الجغرافيا أو علم طبقات الأرض ، ولا يطالب بمعرفة شىء عن "النفس" ، وهو علم يحتاج اليه فى حاضره ومستقبله ، بغض النظر عن نوع هـذا المستقبل ؟ ! فقد يهمل الطبيب بعض الدروس الثانوية بعد الانتهاء منها لعدم حاجته اليها عمليا ؛ وقد ينسى المحامى علوما أخرى لا تمت الى عالم القانون الذى يعيش فيه بصلة ، وقد لا يجد المزارع لذة إلا فيما يتعلق بأرضه وزرعه ، ولكن الجميع مهما اختلفت مشاربهم وأحوالهم وبيئاتهم فى حاجة متساوية الى علم واحد هو علم النفس والى فرع من أهم فروعه وهو علم نفس الاطفال . وذلك لأن كل واحد من هؤلاء ينتظر أن يصير يوما أبا وللأبوة واجباتها الروحيـة قبل المـادية .

ميرفا عبيد